الحركة الاقتصادية والعلمية
في بونة إبان العصر الإسلامي من خلال المصادر العربية

أ.د. إسماعيل سامعي
جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية-الجزائر

توطئة:

إن المتصفح للمصادر العربية على مختلف أنواعها المشرقية والمغربية، تصادفه العديد من الإشارات إلى الكثير من الأنشطة الاقتصادية والعلمية، واللافت للانتباه هو الأعلام الذين نشطوا الحياة العلمية فيها خلال عصور الإسلام المزدهرة في الفترة الممتدة بين القرنيين 2 ـ 8/10 ـ 16 ؛ وهؤلاء كان بعضهم من أهلها ولدوا وترعرعوا بها، فمنهم من بقي فيها ومنهم من هاجر إلى أحد بلاد الإسلام في المشرق، والمغرب، والأندلس، ومن الذين وفدوا عليها واستقروا بها، فنبغوا فيها وظهروا، وكان لهم شأن عظيم لا في تاريخ المغرب الأوسط " الجزائر" فحسب بل في العالم الإسلامي كله.

لقد حاولت أن أحصر هذه المصادر التي تختلف في القدم، والطرح لكنها تُجمع على إبراز النشاط الاقتصادي والعلمي لعدد من أعلام المدينة التاريخية والسياسية الضاربة في القدم، ومن خلال المادة العلمية التي تضمنتها هذه المصادر يمكن تقسيمها حسب موضوعاتها إلى أربعة أقسام هي :

أ ـ المصادر الجغرافية

ب ـ المصادر التاريخية

ج ـ المصادر الأدبية

د ـ المعاجم والموسوعات والتراجم

وما يلاحظ على هذه المصادر مجتمعة هو أنها تجمع فيما بينها بعض الخصائص هي:

أولا : أنها تركز على جانبين هامين فيما تقدمه، وهما الاقتصادي، والعلمي، ففي الجانب الاقتصادي تقدم وصفا مختصرا ودقيقا، لكنه دون أرقام، أما الجانب العلمي فتقدم تراجم لأعلام بونة بشكل عام.

ثانيا : تنقل هذه المصادر عن بعضها، لاسيما المتأخرة، وأكثرها دون إضافة متميزة، حتى أن فارق الزمن يأتي باهتا.

ثالثا : بعض إفادتها باهتة، يسودها شيء من الضبابية والخلط، الشيء الذي يجعل مهمة الباحث صعبة، وتتطلب منه أكثر دقة وعمقا.

1 ـ المصادر الجغرافية:

جل المصادر الجغرافية، لاسيما كتابات الرحالة الجغرافيين العرب أوردت وصفا لبونة ومناطقها، لكن الملاحظ على جلها أنها تنقل عن بعضها كما قلنا آنفا، وتنفرد أحيانا بإضافة بعض المعلومات التي إما لأهميتها، أو لأنها خاصية العصر الذي عاش فيه صاحب المصدر وكتب، ومن ثم فهي تكشف عن التطور الذي مرت به بونة خلال فترات العصر الإسلامي، وتشكل نصوص هذه المصادر فيما بينها بناء تاريخيا وحضاريا للمنطقة خصوصا، ولبلاد المغرب عموما .

إن أقدم هذه المصادر البلدان لليعقوبي المتوفى سنة 897/284 الذي ذكر بعض المراسي خاصة في الساحل الشرقي للمغرب الأوسط " الجزائر " كمرسى

جيجل، وقلعة خطاب، واسكيكدة، ومرس ملر، ومرسى دنهاجة[1]، ولعل بونة تكون إحدى هذه المراسي، لاسيما وأن ابن خلدون يحدد مضارب بطون قبيلة كتامة منها دنهاجة من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر بين بجاية وبونة[2].

أما المسعودي فأورد إشارة لها يبدو عليها الاضطراب عند حديثه عن القنطرة التي كانت تمتد على مضيق جبل طارق[3]، وابن حوقل أول من قدم صورة عن المدينة ونشاطها الاقتصادي والاجتماعي، فذكر أنها مدينة متوسطة، نشاطها الاقتصادي يتجلى من خلال أسواقها الحسنة، وسعة تجارتها، وخصوبة أراضيها، لاسيما إنتاج القمح، وثرواتها كالحديد، إضافة إلى وسائل النقل البحرية، وهذا النشاط الاقتصادي المتنوع أدى ببونة إلى ربط علاقات داخلية وخارجية، كما يكشف هذا المصدر عن طبيعة إدارتها التي تتميز بالاستقلالية[4].

---

(1) - اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، وضع حواشيه، محمد أمين صناوي،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1422/2002)، 190.

(2) - ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1968)، 301/6.

(3) - في وصف أسطوري يقول المسعودي :" مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط ، 3 ، بيروت : دار الأندلس، 1978)، 466/1/1.

هذه القنطرة، وكان طولها نحو اثني عشر ميلاً، في عرض واسع، وسمو بين، فلما مضت لديقلطيانوس من ملكه مائتان وإحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه، وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها بأجمعها، فما كان من القرى التي في قرارها غرق، وأما التي كانت على ارتفاع من الأرض فبقيت منها بونة وسمنور " ويبدو من خلال النص أن بونة كانت من ضمن القرة الغارقة في أرض المضيق، أنظر، مروج الذهب ومعادن الجوهر، وضع فهارسه، يوسف داغر ، (بيروت : دار الأندلس ، 1979) .

(4) - ابن حوقل ، صورة الأرض، (ط ، 2 ، ليدن: بريل 1938 ، ودار صادر)، 75،76.

أما المقدسي فقد اقتصر في ذكرها، ضمن مدن إفريقية مجردة[1]، ولا يذكر الأصطخري إلا قرية أو مزرعة بونة خراسان على أنها عين ماء، يزرع عليه[2]؛ ويبدو أن بونة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، لم تكن بالأهمية التي لمدينة تنس لقرب الأخيرة من الأندلس، لذلك لم يأت على ذكرها البكري إلا عرضا في سياق حديثه عن طبرقة، حيث أورد خبرا عن البحيرة الواقعة في غربها، وعن الطائر المعروف بالكيكل[3].

ويبدو أن جغرافي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وما بعده أخذوا ينقلون عن بعضهم، وكانت إضافتهم قليلة لاسيما وهي خاصة بعصرهم، فالحموي أعاد ما ذكره الجغرافيون السابقون فيما يخص موقع المدينة ونشاطها الاقتصادي، وأضاف تسمية لجبلها أيدوغ الذي قال أنه: "زغوغ "، وذكر عالمها أبا عبد الملك مروان بن محمد السدي البوني الفقيه المالكي من أعيان أصحاب أبي الحسن القابسي، وذكر أنه من الأندلس انتقل إلى إفريقية واستقر ببونة ومات بها سنة 440/ 1048 .

إن الإدريسي الذي عاش خلال القرن السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي ابن بلاد المغرب كانت له دراية واسعة، وملاحظاته دقيقة، لكن لم يشذ عن باق الجغرافيين الذين نقلوا عما سبقوهم، وما تميز به هو تلك

---

(1) – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (القاهرة: مكتبة مدبولي، (ط، 3 ، 1991/1441)، 219.

(2) – يونة كما ذكر مزرعة على الطريق من الري إلى أصبهان. أنظر ، الأصطخري المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، (ليدن : مطبعة بريل 1927 ، ودارصادر، د. ت)، 231 .

(3) – يقول البكري: أن هذه البحيرة تقع غرب بونة، يعشش فيها طائر الكيكل ، ويفرخ، وهو الطائر الذي يسمى بمصر بالخواص، يصنع من جلوده الفرار، ويباع بالأثمان الغالية .أنظر، المسالك والممالك ، تحقيقن جمال طلبة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002/1424)، 238/2.

الإضافات الهامة التي أبرزت عددا من الأحداث التاريخية لبونة التي يبدو أنها كانت ذات أهمية في عصره، وذلك بتحديده لموقعها بالنسبة لمرسى الخرز بأربع وعشرين ميلا روسية[1]، وقال أنها مدينة وسطى، أما عن الأحداث التاريخية التي يبدو أنها حدثت في عصره، وكان من شهودها أو قريب منها، فهي أولا تغلب العرب الهلالية عليها، وثانيا تعرضها لغزو النورمان أو جنود الملك روجر[2]، سنة 548/ 1153، وذكر ما نتج عن هذا الغزو المزدوج الذي أزاح حكم الحماديين لها، وأدى إلى ضعف نشاطها الاقتصادي، وتدهور عمارتها[3].

أما ابن جبير فتعرض إلى علاقات مدينة بونة الخارجية من خلال ذكره لأحد الأسرى في مدينة صور الشام، والذين سنعود إليهم فيما بعد[4]، ولا يضيف ابن سعيد شيئا لما تقدم سوى تحديده لطول موقعها بثمان وعشرين درجة، وعرضه بثلاث وثلاثين درجة وخمسون دقيقة، ويبين أن لها نهر ينصب في غربها، وهو تصحيف لشرقها على عادة المصادر المشرقية التي كثيرا ما تخلط عندما تتعرض لتحديد المواقع الجغرافية لأمكنة بلاد المغرب عموما، لأن

---

(1) – الميل : ثلاثة : الميل البري ويساوي 1609 م، والميل البحري ويساوي: 1852 م ، والميل الجوي ويساوي 1852م . أنظر ، محمودالجليلي، المكاييل والأوزان والنقود العربية، (بيروت : دارالغرب الإسلامي، 2005)، 43، عمارة محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، (بيروت: دار الشروق،1992/1413)، 578 .

(2) – روجر الثاني (بالإيطالية: Ruggero II) (22 ديسمبر 1095 – 26 فبراير 1154) ملك صقلية و ابن روجر الأول و خلف شقيقه سيمون. بدأ حكمه كونت صقلية في 1105 و أصبح لاحقا دوق بوليا وكالابريا (1127) و ثم ملك صقلية (1130). نجح روجر في توحيد جميع فتوحات النورمان في إيطاليا في مملكة واحدة مع حكومة مركزية قوية.

(3) – الإدريسي عبد الله الشريف، المغرب العربي من نزهة المشتاق ، تحقيق محمد حاج صادق، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)، 154.

(4) – ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبيرالمسماة " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار "، (بيروت : دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة ، د ت)، 215 .

نهر المذكور هو وادي سيبوس يصب في جنوب شرقها. وهو باق حتى اليوم[1].

وينقل أبو الفداء نفس ما كتبته المصادر الجغرافية السابقة منها الإدريسي، ويضيف أن بها مرجان ليس كمرجان مرسى الخرز" القالة"[2]، أما ابن بطوطة فلا يتعرض إلى بونة سوى أنه قضى بها أياما عندما كان متجها إلى تونس في رحلته المشهورة[3].

والحميري الذي عاش خلال القرن 14/8 يكتب نصا طويلا يجمع فيه هو الآخر جل ما كتب قبله، وما أضافه يتمثل في ذكره للمياه المتدفقة في الجهة الغربية لبونة والتي تسقي البساتين، والمنتزهات والجنات المشرفة على البحر، ويذكر أن بالمدينة مساجد وحمامات، ويحدد تاريخ بناء سورها أو تجديده بعد سنة 1058/450، بالإضافة إلى تعرضه لأسماء القبائل البربرية كمصمودة ، وأوربة، ويبين أن أكثر تجارها من الأندلسيين، وأن حياتها تبلغ عشرون ألف دينار، ويفيد أن بونة كانت تسمى " بلد العناب " لكثرة العنب بها، ولعله هو من أوائل الذين أشاروا إلى تطور اسمها الحالي " عنابة " كما أن جذوع العنب تعد مصدرا لخشب وقود أهل المدينة، ولسقوف عمارتهم وغيره، أما من الناحية التاريخية والسياسية فيذكر أن أبا زكرياء أمير الدولة الحفصية (627-943/1229-1536)

---

(1) - ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق ، إسماعيل العربي، (ط ، 2 ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982)، 142.

(2) - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1427/2007)، 161.

(3) - ابن بطوطة محمد بن إبراهيم أبو عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار صادر، ودار بيروت ، 1384/1964)، 16.

وفاه الأجل بها، ودفن بجامعها سنة 1249/647 بجانب قبر الولي الصالح أبي مروان[1].

ومن المصادر المتأخرة نسبيا التي تعود إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وصف إفريقيا للوزان الذي لم يشذ هو الآخر عما سبقوه فنقل عنهم، وما تميز به هو أنه قدم بعض الإضافات الهامة منها ما يخص التسمية حيث قال أن بونة كانت تسمى قديما " أوربونة " ويبدو أن ذلك إما أن يكون تحريفا لبونة بزيادة " أور"، أو هو خطأ في النقل[2]، كما أورد أنها كانت مشهورة عند الكثير من الناس ببلد العناب لكثرة العنب بها، وهو تأكيد لرواية الحميري السابقة الذكر، وكان عنبها يجفف ويؤكل في فصل الشتاء. والسؤال الذي يطرح : هل أخذت بونة التسمية " عنابة " من اسم هذه الفاكهة فعلا ؟ وإذا كان هذا صحيحا فمتى تم ذلك ؟ أفي عصر الوزان القرن 16/10 أم قبله باعتبار كلامه أنها كانت مشهورة عند الكثير من الناس باسم بلد العناب ؟[3]. كما أفاد أن المدينة كانت تضم حوالي ثلاثمائة كانون أي بيت، ثم يأتي على وصف مجتمعها ورجاله الذين كانوا يمتازون بالظرف، وبعضهم كان تاجرا، وآخر صانعا وحياكا مستقيمين منصفين إلى درجة السذاجة من ذلك اعتقادهم المطلق في الأولياء الصالحين، كما ذكر بعض قبائلها العربية مثل" مرداس" وقال ليس في عنابة عيون وإنما فيها صهاريج (نطافي) لخزن ماء المطر، وبين مساحة سهولها " باديتها" التي تبلغ نحو أربعين ميلا طولا، وخمسة وعشرين ميلا

---

[1] – الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (ط، 2 ، بيروت: مكتبة لبنان، 1984)، 115؛ الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، (ط،6 ، بيروت: دار الثقافة، 1983/1403)، 42/2 ، 86 ، 50.

[2] – انفرد على ما يبدو حسن الوزان بإيراد هذه التسمية، دون تعليل أو ذكر لمآخذه.

[3] – حسن الوزان " ليون الإفريقي " وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية ، محمد حجي، ومحمد الأخضر ، (ط ، 2 ، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1983)، 61/2.

عرضا[1]، وكلها صالحة للزراعة خاصة زراعة القمح، كما تربى في بدايتها الأبقار والأغنام التي تدر الكثير من الألبان لاسيما الزبدة، التي تباع بأسعار منخفضة جدا، وتصدر مع القمح إلى تونس، وجربة، وإلى سواحل أوربا لاسيما جنوبة. وذكر أن سوقها كان يقام يوم الجمعة خارج سور المدينة، وأشار إلى القلعة التي كانت في شرفها محاطة بأسوار سميكة من بناء ملوك تونس الحفصيين، وهي مقر الحاكم أو الوالي الحفصي، وإلى قلعة أخرى على الشاطئ أكثرها الوالي للجونيين لاستغلال المرجان، والتي كانت قاعدة خلفية لشن هجمات على المدينة ونهبها، حيث عبر سكانها عن رفضهم للسماح للجونيين بناء القلاع أو امتلاكها على شاطئهم، وقاموا بثورة ضد حاكمها الحفصي الذي يبدو أنه سهل للجونيين ذلك[2].

2 . المصادر التاريخية

إن المصادر التاريخية إضافة إلى عدد من المراجع تتناول بونة (عنابة) من خلال ما قدمته من تراجم أعلام هذه المدينة سواء الذين نشأوا فيها، أو سكنوها وماتوا بها، ودفنوا لاسيما بعد القرن 6 هـ/12م، ويستشف من هذه التراجم المكانة التي كانت عليها المدينة، والحركة الاقتصادية الواسعة التي عرفتها خاصة النشاط التجاري الكبير الذي ميزها، فقد أصبحت المدينة في العصرين الحمادي والحفصي مركز تبادل تجاري هام بين جنوب البحر المتوسط وشماله، وبين غربه وشرقه، ويبدو أنها سرقت الأضواء من كثير من المدن المغربية خاصة مدن المغرب الأوسط (الجزائر) على الخصوص منها مدن تنس، ووهران، وبجاية.

---

[1] - أي حوالي 74 كلم طولا، و 46 كلم عرضا بحساب الميل يساوي 1852 م تقريبا، وهو التقدير التقريبي اليوم.

[2] - نفسه، 61/2 ، 62.

وتتجلى هذه الأهمية في اهتمام أمراء الدولة الحفصية بها حتى أن الأمير المذكور آنفا دفن فيها - لأهميتها - إلى جانب أبي مروان كما أسلفنا ذكره [1].

وسأتبع في إيراد هذه المصادر الترتيب التاريخي (الكرونولوجي) حسب تعاقب سنوات الوفاة لكل صاحب مصدر، وذلك لأجل الوقوف على مدى أخذ المصادر من بعضها البعض، وما أضافته في عصرها حتى تسهل عملية المقارنة، والدراسة، والنقد.

فمن أقدم المصادر العربية التي تمكنت من الوصول إليها الحميدي الأندلسي صاحب جذوة المقتبس المتوفى سنة 1192/488[2] الذي أشار إلى بونة في ترجمته المقتضبة لمروان بن محمد الأسدي أبي عبد الملك البوني[3]،

---

[1] - أنظر ، صفحة ، 5 هامش ،4.

[2] - الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس: تحقيق إبراهيم الأبياري، (القاهرة/ بيروت : دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري ، ودار الكتاب اللبناني، 1984/1404)، 546/2 ، رقم الترجمة، 798.

[3] - الإمام الفقيه المحدث مروان بن علي بن محمد، يكنى بأبي عبد الملك،وشرف الدين الأسدي القطان البوني، والأسدي: أحد العلماء الذين اشتهروا بالحديثالشريف روايةودراية، وبالفقه ، كما عرف بصلاحه وورعهحتى لقبه أهل بونة بسيدي مروان تشريفا وتقديرا لعلمهوزهده.

ولد أبو عبد الملك البوني في مدينة قرطبة،ولم يعرف تاريخ ميلاده، نشأ في كنف والده الذي كان يحسن كثيرا من العلوم الدينية والشرعية، فحفظ القرآن الكريم على يديه،وعلمه الخط، وبعض مبادئ العربية، والعلوم الإسلامية، وجالس شيوخ قرطبة منهم : أبو محمد الأصيلي والقاضي ابي المطرف، وحسين بن سلمونالمسيلي، وغيرهم، ثم سافر إلى بلاد المغرب فأهذ عن علماء تلمسان، وانتقل منها إلى القيروانفاتصل بالمحدث المقرئ علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي، وبأبي جعفلا الدوادي أول شارح لصحيح البخاري، ثم اتجه صوب مدينة ليستقر بها ، وهناك عقد مدالس التدريس والرواية بمسجدها الجامع، فقصده طلاب العلم من جميع النواحي ينهلون من علمه ويستفيدون.

والذي بين أن أصله من الأندلس رحل إلى القيروان ثم استقر ببونة حيث مات ودفن، وقال أنه كان فقيها محدثا له كتاب كبير في شرح الموطأ، وقد وثق الحميدي إفادته هذه بأنه قال:" ذكره أبو محمد الحفصوني وذكر عنه فضلاء وعلماء" [1].

ومن أقدم المصادر المشرقية التي أشارت إشارة خفيفة إلى بونة – ابن عساكر المتوفى سنة 1175/571؛ فقد ذكر في كتابه تاريخ دمشق أحد البونيين وهو حماد بن محمد المعافري البوني[2].

ومن هؤلاء المشارقة السمعاني المتوفى سنة 1186/562، الذي ترجم لأبي عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني ترجمة مقتضبة لكنه أضاف على ما تقدم عند الحميدي[3] :

أولا : ضبط اسم بونة فقال:" البوني بضم الباء *المنقوطة* بواحدة، وسكون الواو وفي آخرها النون".

ثانيا : حدد موقع بونة وقال : إنها بساحل افريقية.

وله شيوخ وتلاميذ كثر، ومن مصنفاته وآثاره: شرح موطأ الإمام مالك، وشرح صحيح البخاري، مفقود، ولمترجمنا أراء ومسائل وفتاوى فقهية مبثوثة في المصادر. أنظر : تراجمه كثيرة منها : الحميدي ، جذوة المقتبس، 546/2 ، رقم الترجمة، 798، الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق، روحية عبد الرحمن السويفي، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1997/1417)، 402 رقم الترجمة، 1341، ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق : مأمون بن محيي الدين الجنان، (بيروت : دار الكتب العلمية،1996/1417)، 423 رقم الترجمة، 592.

[1] – الحميدي : 123/1 .

[2] – تاريخ دمشق 230/49 – تحقيق علي شيري. (المكتبة الشاملة : الإصدار الثالث)

[3] – السمعاني : الأنساب 416/1 (المكتبة الشاملة : الإصدار الثالث).

ثالثا : وثق نقوله فذكر أنه سمعها من أبي محمد بن أبي حبيب الأندلسي الحافظ.

رابعا : أفاد أن مروان بن محمد هو من كبار أصحاب أبي الحسن القابسي.

خامسا : ذكر خلافا للحميدي أنه مات قبل سنة 440/ 1048

ومن المصادر المغربية نذكر أولا ابن عذاري الذي كان حيا خلال القرن 7هـ/13م فقد ذكر أحداثا تاريخية هامة لولاية افريقية ككل ولبونة على الخصوص، لاسيما في نهاية القرن الرابع، وخلال القرن الخامس الهجري، أفادنا بمعلومات هامة عن مشاركة رجال من بونة في الحياة السياسية، كما أورد أن عامل افريقية يوسف بن أبي محمد الذي لم يكن مهتما بشؤون ولايته، تفرغ للهو واشتغل بالأكل والشرب، وبالورد، وسلم أمور إدارة الولاية لابن البوني الذي حرص على ما يبدو على إشباع نهم سيده، وتحقيق الأمن والرخاء في المدينة، في حين شدد على أهل البادية بالإفراط في جباية الأموال، وتلقي الهدايا تحقيقا لرغبات ونزوات صاحب نعمته، وينقل عن الرقيق النص الآتي : " كنا إذا درنا مع يوسف بن أبي محمد على البلدان، واستطاب موضعا، وأعجبه حسنه أقام فيه الشهر والشهرين، وأبو الحسن البوني يجبي الأموال، ويقبض الهدايا، ويقوم بأمور أخلة يوسف وعسكره، وكان يعطي لخاصة يوسف في كل يوم خمسة آلاف، وينفق على يوسف لمطبخه، وفاكهته نحو هذا المال المذكور"[1].

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س . كولان، وإ.ليفي بروفنسال، (ط، 3 ، دار الثقافة ،1983)، 245/1

والبوني هذا تعرض إلى عقاب عند ظهور أبي مناد باديس بن أبي الفتح المنصور، فألقي عليه القبض وعلى ابنه وطلب منهما دفع أموالا كثيرة، فأنكراه، ثم قام المنصور بذبحه وعزل واليه على عمالة إفريقية يوسف بن أبي محمد [1].

وعندما تحدث النويري المتوفى سنة 1332/733 عن دعوات الأيام السبعة وليالها استند في ذلك إلى أبي العباس أحمد بن علي ابن يوسف القرشي البوني[2].

وينسب إلى بونة الذهبي المتوفي سنة 1347/748 في سير إعلام النبلاء كل من يحي بن أبي بكر البوني، وأبي عبد الملك البوني، وأبي عبد الله محمد بن سليمان البوني الأندلسي [3].

وفي تاريخ الإسلام يذكر الذهبي أن أبا بكر الأندلسي ابن القيرواني الصابر روى عن مروان بن علي البوني[4]، كما يذكر بعض ممن ينسبون إلى بونة منهم الجمال محمد بن حسن بن البوني، وعبد الملك بن عبد الله بن محمد أبو مروان الفحصبلي المغربي البوني الصياد السماك الزاهد الرحالة، الذي تفقه بأبي

---

[1] - نفسه 246/1

[2] - أنظر النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: هاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 136/2- (المكتلة الشاملة : الإصدار الثالث) .

[3] -الذهبي شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان، تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، هذبه، أحمد فايز الحُمصي، (ط ، 2 ، بيروت مؤسسة الرسالة، 1992/1413) . 551/2

[4] - نفسه ، 369/7

الطاهر بن عوف ودرس ببونة [1]، وجمال الدين التميمي السعدي البوني المالكي الطبيب [2].

وذكر ابن بشكوال المتوفى سنة 1378/780 أبا عبد الملك مروان بن علي الأسدي البوني عندما ذكر عددا ممن رووا عنه كأحمد بن العجيفي العبدري أبي العباس[3].

كما ذكر ابن فرحون المتوفى سنة 1307/799 أن أبا عبد الملك مروان بن علي الأسدي البوني أخذ عن أبا جعفر أحد أئمة المالكية الذي سكن تلمسان، وله من المؤلفات النامي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، والنصيحة في شرح البخاري، والإيضاح في الرد على القدرية[4]، إضافة إلى ترجمة مقتضبة له. وأضاف على متقدميه في ذلك أنه أخذ عن أبي محمد الأصيلي، والقاضي أبي المطرف، وعبد الرحمن بن فطيس، وأبي الحسن القابسي، وأحمد بن نصر الدوادي [5]، وممن رووا عنه شرح الموطأ حاتم الطرابلسي، وابن الحذاء [1].

---

[1] - نفسه، 119/10

[2] - نفسه، 309/13

[3] - ابن بشكوال خلف بن عبد الملك أبو القاسم ، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ضبط، وتقديم، صلاح الدين الهواري، (بيروت : المكتبة العصرية،2003/1423)، 478/1.

[4] - ابن فرحون، الديباج، 423 رقم الترجمة، 592 .

[5] - أبو جعفر أحمد الداوودي الأسدي التلمساني المسيلي الطرابلسي المالكي المتوفى بتلمسان سنة 402 / على أرجح الأقوال، كان من العصاميين الذين علموا أنفسهم ، معتمدا على قدراته الذهنية ، خاصة وأنه تجول بين كبرى الحواضر العلمية في عصره ، قبل أن يستقر به المقام في طرابلس حيث ظهر وتبوأ ، ومن آثاره : الكتاب النامي وهو شرح لموطأ مالك، النصيحة في شرح صحيح البخار ، والواعي في الفقه المالكي، وكتاب الأسئلة والأجوبة في الفقه، وكتاب الأموال، وكتب أخرى. ترجم له الكثير توجد مجملة في مقدمة المحقق لكتاب

أما ابن خلدون المتوفى سنة 1405/868، فقد تعرض في حديثه عن علم أسرار الحروف مؤلف في ذلك للبوني، وإلى أهم ما جاء فيه[2].

وفي نفس هذا السياق أشار ابن حجر المتوفى سنة 1442/846 إلى أن ممن رووا عن مروان بن علي البوني القيرواني والعامري وغيرهما[3].

وذكر السخاوي المتوفى سنة 1496/902 بعض الرجالات البونيين كعبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد السيد جمال الدين البوني، وعبد الله بن مبارك بن حسن بن شكوان أخو أحمد البوني، وهو محمد بن أحمد بن محمد الجمال بن الشهاب البوني، أو البوصيري في الأبوصيري والذي قدم جده من المغرب (بونة) فقطن الحجاز أي المدينة وترقى ابنه بخدمة شريف مكة بركات، الذي أوقف في مرضه البيمارستان المكي، وخلفه ابنه[4]، كما ذكر في جملة الفواطم المترجم لهن فاطمة ابنة أحمد بن أحمد بن محمد البوني المكي أخت محمد المذكور ، والتي ماتت بمكة، وقندولة ابنة أبي الخير محمد بن ريحان المريسي زوج الجمال محمد بن الشهاب أحمد البوني[5].

الأموال ، دراسة وتحقيق، محمد أحمد سراج، وعلي جمعة محمد ، (القاهرة: دار السلام، 2001/1421)، 39.

[1] – ابن فرحون : الديباج، 423 رقم الترجمة، 592 .

[2] – ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة ،2006)، 1040/3.

[3] – ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، (بيروت : دار الفكر ،1993/1414)، 492/2

[4] – الضوء اللامع،338/5.

[5] – نفسه، 5/ 437 ، 455 .

كما أشار إشارة خفيفة النجم الغزي إلى سيدي محمد السنوسي البوني الذي يبدو أنه كان مفسرا نقل عنه عدد من علماء المشرق منهم علاء الدين الدمشقي الشافعي الشهير بابن عماد الدين والشيخ مغوش المغربي[1].

وترجم المحبي صاحب خلاصة الأثر لأحد أعلام بونة وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الجمال محمد بن الشهاب أحمد بن أحمد البوني المكي المالكي الأديب الذي قدم جده من المغرب فقطن الحجاز وترقى ابنه بخدمة الشريف بركات بن أبي نمي صاحب مكة، وكان محمد كاتبا شاعرا ولد بمكة ونشأ وحفظ أشعار العرب، ونافس أقرانه في علوم الأدب، وله أشعار حسان منها قوله مجيبا للبرهان إبراهيم المهتار عن قصيدة خمرية نظمها وأرسلها إليه ليعارضها ومطلعها.

دع الوقوف على الأطلال والنحب ولا تعرج على مجهولها الخرب [2]

ومن الذين تعرض لهم بالذكر صا حبمرآة الجنان وعبرة اليقظان، ويسمون بالبوني (474/1) القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البوني الفقيه الحافظ صاحب المسند . (ت 281 / 894)[3].

---

[1] - الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 446/1 - لا أدري إن كان يقصد بالبوني نسبة إلى بونة المغرب " عنابة " أم المزرعة المذكورة سابقا والواقعة بخرسان ؟

[2] - المحبي محمد الأمين بن فضل الله ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 425/2.

[3] - اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة حوادث الزمان، 290/1 ، (المكتبة الشاملة : الإصدار الثالث)

3 ـ المصادر الأدبية:

وأورد المقري المتوفى سنة 1631/1041 في ترجمته لأبي علي بن خميس من أهل المرية أنه سمع من أبي عبد الله البوني[1]، كما ذكر في موضع آخر البوني ونسب إليه المنتخبة [2].

التراجم، والمعاجم، والموسوعات :

لقد ذكر الصفدي المتوفى سنة 764/ 1362 إلى جانب إشارته إلى مروان بن علي البوني السابق الذكر والشيخ يوسف البوني[3] أحد شيوخ القراء بجامع دمشق والمتوفى سنة 612 /1215 هو إبراهيم بن يوسف بن محمد أبو الفرج المقرئ وجيه الدين ابن البوني[4] .

أما القنوجي صديق بن حسن الأمير أبي الطيب البوهبالي الهندي المتوفى سنة 1264/ 1864 فعند حديثه عن التصوف ذكر أحمد البوني، وذكر تصانيفه في النفس، ونواص الأسرار في بواصر الأنوار، وخواص الأسماء الحسنى ونقل عنه من خواص الأسرار: قال قال البوني : يناسبها كل مطلوب ويتوصل بها إلى كل مرغوب، وبملازمتها تظهر الثمرات، وصرائح الكشف والاطلاع على أبرز المغيبات [5]، وقد يكون المقصود بالبوني هنا غير البوني المغربي.

---

(1) – المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق ، إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1968/1388)، 642/2

(2) – نفسه، 199/5

(3) – الوافي بالوفيات ، 460/1 ، (المكتلة الشاملة : الإصدار الثالث)

(4) – نفسه 278/2 كما ذكره صاحب زبد مرآة الزمان (الشيخ يوسف البوني)263/1

(5) – ابجد العلوم الوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق، اليونيني عبد الجبار زكار، (بيروت: المكتبة العلمية، 1978) ، 61/2، 282، و (المكتلة الشاملة : الإصدار الثالث)

وإذا أتينا إلى عدد من المراجع التي جمعت مادة هامة من مصادر مختلفة فإننا نجد في البداية البغدادي إسماعيل باشا المتوفى سنة 1339/1920 والذي ترجم لعدد من البونيين في مقدمتهم أحمد بن علي بن يوسف البوني تقي الدين أبو العباس القرشي المتوفى سنة 1032/ 1622، وأورد جل مؤلفاته كالآتي: أسرار الحروف والكلمات، وإظهار الرموز وإبداء الكنوز، وبحر الوقوف في علم الأوفاق والحروف، وتحفة الأحباب ومنية الأنجاب في أسرار بسم الله وفاتحة الكتاب، وتنزيل الأرواح في قوالب الأشباح، والتوسلات الكتابية والتوجهات العطائية، وجواهر الأسرار في نواهر الأنوار، وحزب النصر، وخصائص سر الكريم في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم، ورسالة التجليات، ورسالة الشهود على طريقة علم الحروف، والرسالة اللامية، والرسالة النونية، وسير نور الأنوار وقبس سير سر الأسرار، وشرح أسماء الله الحسنى، وشرف الشكليات وأسرار الحروف الورديات، وشمس المعارف ولطائف العوارف، وشمس الواصلين وانس السائرين في سر السير على براق الفكر والطير، وعلم الهدى وأسرار الاهتداء في فهم معنى سلوك أسماء الله الحسنى، وفتح الكريم الوهاب في فضائل البسملة مع جملة من الأبواب، وقبس الاقتداء إلى وفق السعادة ونجم الاهتداء إلى شرف السيادة، وقوت الأرواح ومفتاح الأفراح، وكتاب الحروف والعدد، وكتاب فاه باللسان ورسمه بالبنان على ألواح البيان في عالم العيان، ولطائف الإشارات في أسرار الحروف العلويات، واللطائف العشرة، وكنز اللطائف الروحانية في أسرار اللمعة النورانية، واللمعة النورانية في الأوراد الربانية، والمشهد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ومطلع العزائم، ومواقف الغايات في أسرار الرياضات، مواقيت البصائر ولطائف السرائر، وموضح الطريق وقسطاس التحقيق في شرح الأسماء الحسنى، ونهاية الآمال في فضائل الأعمال، وهداية القاصدين ونهاية الواصلين وغير ذلك[1]، كما نقل عنه تعريفه لعلم

[1] - إسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين أسماء أسماء المؤلفين وأثار الصنفين ، (

الحروف والأسماء: ثم ترجم لعبد الرحيم بن علي بن إسحاق بن مروان القرشي محي الدين البوني، وذكر له : "منافع القرآن"[1].

كما ذكر أحد البونيين الذي ولد في دمياط بمصر وهو عبد المؤمن بن خلف ابن أبي الحسن ابن شرف البوني الحافظ الدمياطي المصري المحدث الشافعي والذي يعرف بابن الماجد المتوفى سنة 705/ 1305، وله من التصانيف: "التسلي والاغتباط بثواب من تقدم من الإفراط، وسير النبي، والعقد الثمين فيمن سمي بعبد المؤمن، وفضل الجليل، وقبائل الخزرج، وكشف المغطى في فضل الصلاة الوسطى، والمتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، ومعجم الشيوخ[2]، وفي هذا السياق ذكر محمد بن أحمد الإمام أبو المواهب البوني الزاهد المتوفى سنة 632/ 1234 الذي له :" حزب النصر"[3].

ورغم أن هناك بعض الأماكن الأخرى التي تحمل اسم بونة ينسب إليه بعض الرجالات الأعلام، فإن النسبة إلى بونة هي الأوسع ذكرا، والأشهر معرفة، والتي هاجر منها رجال، واستقر بها آخرون.

وقد ذكر حاجي خليفة المتوفى سنة 1657/1067 أحمد بن علي البوني القرشي أبا العباس المتوفى سنة 622 /1225 عند ذكره لكتاب : أسرار الحروف والكلمات : وهو عنوان لكتاب ألف على حدى لكل من شهاب الدين أحمد بن علي المعروف بابن المأمون المتوفى سنة 1191/586، وللإمام أبي حامد محمد

أستانبول: وكالة المعارف الجليلة، 1955)، 102.

[1] - نفسه ،1 /296

[2] - لإسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، 333/1 و (المكتلة الشاملة : الإصدار الثالث)

[3] - نفسه 4/2

بن حامد الغزالي المتوفى سنة 505/ 1112[1]، كما ذكر له أيضا عددا من المؤلفات منها أسرار الأدوار، وتشكيل الأنوار في الظلمات، وإظهار الرموز وإبداء الكنوز[2] وقد نقل عن أحمد بن علي البوني عددا من النصوص وذكر أيضا شرف الدين البوني الذي أورد له كتاب أبي عبد الملك مروان في التفسير[3].

أما صاحب إيضاح المكنون فذكر تفسير الموطأ من تأليف شرف الدين أبى عبد الملك مروان ابن على الاسدي البونى المالكي، وأكد على أنه توفي سنة 440/ 1048 [4]، ثم آتى على ذكر عدد من مصنفات الشيخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن يوسف البوني القرشي المتوفى سنة 1225/622 منها جواهر الأسرار وبواهر الأنوار وخصائص السر الكريم في فضل " بسم الله الرحمن الرحيم " وسوابغ النعم وسوابق الكرم في شرح أسماة الله الحسنى، وقبس سير سر الأسرار، ونهاية الآمال في فضائل الأعمال [5]، وكلها مصنفات في التصوف.

وفي الأعلام للزركلي ذكر العديد من مؤلفات أحمد بن علي بن يوسف أبو العباس البوني[6]، والذي وصفه بأنه متصوف مغربي توفي بالقاهرة، وقد ألف : شمس المعارف ولطائف العوارف في علم الحروف والخواص في أربعة أجزاء، واللمعة النورانية في منغيسا الرقم، والسلك الزاهر، وشمس المعارف الوسطى والصغرى، ورسالة في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، ورسالة في

---

[1] - حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسنطيني الرومي الحنبلي)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (طبعة جديدة ، بيروت : دار الفكر ،2007/1428)، 124/1.

[2] - نفسه.

[3] - نفسه، 451/1.

[4] - إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون، 310/1. (المكتبة الشاملة – الإصدار الثالث).

[5] - نفسه، 375/1، 430 ، 29/2 ، 689/3.

[6] - الزركلي خير الدين، الأعلام، (ط، 11 ، بيروت : دار العلم للملايين، 1995)، 1/ 174.

فضلها، وكتاب مواقف الغايات في أسرار الرياضات، ورسالة في الأزهرية[1]. ثم آتى على ذكر عدد من البونيين، وهم : أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني المتوفى سنة 1139/ 1726 عالم الحديث، الذي عاش ومات ببونة (عنابة) له تصانيف كثيرة نحو المائة مؤلف منها : نظم الخصائص النبوية،ونظم الشمائل، وفتح الباري في شرح غريب البخاري، والرحلة الحجازية، والدرة المصرية في علماء وصلحاء بونة، ونسب إليه: التعريف بما للفقير من التأليف[2].

وينقل صاحب معجم المؤلفين بعض أعلام بونة عن كشف الظنون لحاجي خليفة، ويوثق من عدد من المصادر والمراجع العربية والجزائرية على الخصوص منها الحفناوي صاحب رجال الخلف، ومن هؤلاء البوني الصوفي المعروف أحمد بن علي بن يوسف البوني، ويصحح من بروكلمان، فأورد عنه : أحمد بن يحيي بن.ثابت ابن الحازم بن علي رفاعة الرفاعي[3]، ثم يذكر عددا من البونيين منهم:

1 ـ أحمد البيونيس المتوفى سنة .1139/ 1726[4] .

2 ـ البوني ابو العباس له نظم الخصائص النبوية، والمستدرك على السيوطي.

3 ـ محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني التميمي المسيتي، قال عنه : أنه عالم أديب له من المؤلفات : فتح الأغلاق على وجوه مسائل

---

[1] - نفسه،1/ 174

[2] - نفسه، 199/1.

[3] - كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، (بيروت ك دار غحياء التراث العربي)، 319/2؛ 25/2. (المكتبة الشاملة – الإصدار الثالث).

[4] - نفسه، 7/2، (المكتبة الشاملة – الإصدار الثالث)، الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، (الجزائر : موفم للنشر،1991)، 515/2

مختصر خليل بن إسحاق في فروع الفقه المالكي، ونظم عقيدة السنوسي السادسة وشرحها، ونظم الخصائص الكبرى للسيوطي، ونظم الإيمان، ونظم تراجم كتاب الشمائل للترمذي[1].

4 ـ محمد بن أحمد البوني أبو المواهب رجل فاضل له :" حزب النصر "[2].

5 ـ مروان البوني المتوفى سنة 1048/440 ، ويؤكد أنه أخذ عن أبي الحسن القابسي، وأحمد بن نصر الداوديوروى عنه[3].

ويأتي صاحب معجم المطبوعات على ذكر مؤلفات محي الدين أو شرف الدين احمد بن علي القرشي البوني[4]، كما ذكر أحد المؤلفين محمد حسن البوني[5].

وقد ورد في فهرس الفهارس ترجمة كاملة لأحمد بن قاسم البوني الذي سبق ذكره في الكثير من المصادر[6].

وقد تميزت أخبار فهرس الفهارس ببعض الإفادات الهامة عن أعلام بونة منهم الشيخ حسن االطيبي وهو ولد الشهاب البوني أحمد بن أحمد بن قاسم

---

(1) – كحالة، معجم المؤلفين، 8/ 241 ، (المكتبة الشاملة – الإصدار الثالث).الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، 376/2

(2) – كحالة، معجم المؤلفين، 246/8.

(3) – نفسه، 223/3.

(4) – أتينا على ذكرها فيما سبق. أنظر، الياس سركيس، معجم المطبوعات، 607/1، و(المكتبة الشاملة. الإصدار الثالث) .

(5) –الياس سركيس، معجم المطبوعات، 1647/2، و(المكتبة الشاملة. الإصدار الثالث) .

(6) – الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم العاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق، إحسان عباس،(ط، 2 ، بيروت:دار الغرب الإسلامي ، 1982)،236/1.

البوني، كما يذكر أن لشهاب البوني شيوخا من بونة ، ومعناه أن بونة في هذا العصر(القرن 12/17) كانت تعج بالعلماء ،كما يذكر عددا من أعلام الجزائر في سياق نقله لشيوخ أحمد بن قاسم البوني.

ومن أعلام بونة عبد الله بن ساسي التميمي البوني والد العلامة أحمد بن قاسم ، ويبدو أن والده هذا كان ممن أخذ عنهم السيوطي[1].

ونخلص إلى أن مدينة بونة " عنابة " في العصور الإسلامية المزدهرة عاشت حركة اقتصادية داخلية وخارجية دائبة، وحركة ثقافية فاعلة مما جعلها مدينة إسلامية كبرى، بل مدينة عالمية بمقاييس ذلك العصر، فكما كانت تصدر الموارد الأولية الزراعية خاصة، والعلماء استقبلت موارد العالم، وعلمائه لاسيما من العالم الإسلامي، وما المنتوجات الاقتصادية، والجهود العلمية التي أوردتها المصادر وثمنتها المراجع إلا دليل على هذه الأهمية، والحقيقة أن هذه الدراسة لا تكشف إلا عن بعض الجوانب من هذه الحركة وتبقى جوانب أخرى لابد أن تقف عندها جهود الباحثين لاستكشافها، وتحقيقها، وتقديمها لتثري الساحة الثقافية الوطنية، والبحث العلمي في بلادنا، مع مباركتنا للجهود المبذولة في هذا السبيل ممن سبقونا من الباحثين والدارسين، لاسيما ما كشفت عنه بحوث ملتقى الفكر الإسلامي العاشر المنعقد بعنابة سنة 1976.

---

[1] - نفسه ، 784/2.